ندوة (تأثير المثقفين المصريين على العلاقات المصرية – الروسية)

مروة أحمد عبد العليم
الهيئة العامة للاستعلامات

مقدمة

تُعد العلاقات المصرية – الروسية علاقات متينة ومتجذرة منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن، كان الجانب الثقافى دائما مكوناً أساسياً فيها ولعل مجموعة المقتنيات والتحف المصرية في متحف الإرميتاج بمدينة سان بطرسبورج ومتحف بوشكين فى موسكو وتماثيل أبو الهول على ضفاف نهر النيفا، دليل على التفاعل الثقافى المتبادل بين البلدين. ويعود الفضل فى ذلك للعالم والأكاديمي الشهير اغناطيوس كراتشكوفسكي الذى مد جسور التواصل بين الثقافتين، حيث عمل المستشرق الكبير بمكتبات القاهرة والإسكندرية، وبعد اختياره عضوا بأكاديمية العلوم العربية عام ١٩٢٣ نشر العديد من المقالات والبحوث في الدوريات العلمية المصرية. كما قام العالم والأكاديمي الكبير س.أولدينبورج بتقديم مقترح لرئيس أكاديمية العلوم العربية بتبادل الكتب والإصدارات بين المكتبات الروسية والعربية، وبالفعل شهد عام ١٩٢٥ أول تبادل علمى بين مكتبة القاهرة ومكتبة متحف آسيا في لينجراد حيث تبادل الطرفان صورا للمخطوطات العربية النادرة.

هذا وقد ساهم السوفيت فى تأسيس أول مدرسة للباليه في مصر عام ١٩٥٨ لتصبح الفرقة المصرية أول فرقه للباليه في إفريقيا والشرق الأوسط. كما تأسس السيرك المصري بمساعده الخبراء السوفيت أيضا في عام ١٩٦٠، وامتد التعاون إلى الفنون الشعبية حيث ساهم السوفيت في دعم تأسيس أول فرقة للفنون الشعبية والتي حققت نجاحات كبيرة في الستينيات.

والآن تشهد العلاقات الثنائية نقلة نوعية بفضل الدعم الكبير الذي يقدمه الرئيسان عبد الفتاح السيسي وفلاديمير بوتين، الأمر الذي دفع كليهما إلى إطلاق عام ٢٠٢١ عاماً للتبادل الإنساني، الذى أصبح جسراً مهماً لتوطيد العلاقات بين مصر وروسيا، ومحطة للتعاون الشبابى بين البلدين، مما يسهم في توافق رؤى الدولتين، وفى هذا الإطار نظمت مكتبة القاهرة الكبرى ندوة تحت عنوان "دور العلماء والمثقفين المصريين فى تنمية العلاقات المصرية – الروسية" نموذج الراحلين د.ابو بكر يوسف ود.حسين الشافعى، التى أدارها وتحدث فيه "شريف جاد" رئيس الجمعية المصرية لخريجى الجامعات الروسية والسوفيتية، ود."محمد نصر الجبالى" استاذ الأدب الروسى والترجمة بكلية الألسن – جامعة عين شمس والملحق الثقافى السابق فى روسيا، ود."مسعد عويس" استاذ بجامعة حلوان وعضو المجلس القومى للمرأة، فى حضور "مراد جاتين" مدير المراكز الثقافية الروسية فى مصر، وعدد من خريجى الجامعات الروسية والسوفيتية وبعض المهتمين بالشأن الروسى.

من جانبه قال "شريف جاد" أن عام التبادل الإنسانى بين مصر وروسيا يُعد أحد أكبر وأهم الأحداث فى الدولتين وإضافة ثرية لمجالات التعاون المتعددة بينهما، ويبرز أهمية دور القوى الناعمة فى مد جسور التواصل بين الشعوب رغم اختلاف اللغات، وأن الدليل على ذلك هو الراحل "ابو بكر يوسف" فقد كان أعظم مترجم عربى للأدب الروسى حتى أن اتحاد الكُتاب الروس قد اطلق عليه شيخ المترجمين العرب كما تم تكريمه من روسيا عام ٢٠١٢ بوسام بوشكين، وانه كان محظوظاً بالتعامل معه ولقاؤه خلال فترة دراسته فى روسيا فقد كان بيته مفتوحاً لجميع الطلاب المصريين والعرب حتى انهم اطلقوا عليه فى روسيا "أبو العرب" حيث كان يلجأ اليه الجميع من اجل حل مشكلاتهم، واشار "جاد" الى أن "ابو بكر يوسف" قام بترجمة العديد من أعمال الأدب الروسى على رأسها الأعمال الكاملة لأنطون تشيخوف، والتى أجزم البعض بعد قرائتها أنها كتبت باللغة العربية بسبب دقة الترجمة واهتمامه العميق بالمفردات التى يستخدمها، وأكد "جاد" على أن كتابات "أبو بكر يوسف" لازالت تتمتع حتى اليوم باهتمام

كبير لدى القراء كونه اعظم المترجمين العرب للأدب الروسى. وعن د."حسين الشافعى" قال "جاد" أن مؤسسته المصرية الروسية للثقافة والعلوم قدمت للشعب المصرى والشعوب العربية ما يقرب من ٢٥٠ كتاب مترجمة من اللغة الروسية الى اللغة العربية وأعلن أن جمعية الخريجين بالتعاون مع المؤسسة بصدد اصدار كتاب هام عن القوميات المُهجرة من تأليف الوزير السابق رمضان عبد اللطيفوف تحت رعاية جمعية الصداقة المصرية الروسية.

بينما صرح د."محمد نصر الجبالى" أن فى روسيا شخصيات مثل كاتشوكوفسكى وفارلوفا وكاربيتشينكا نجحت الى حد كبير فى بناء جسور صداقة حقيقية بين الشعبين وكان ذلك نابعاً من حبهم للثقافة المصرية، كما أن هناك تشابه كبير بين الثقافتين المصرية والروسية فهما ثريتان وتتسمان بالتنوع الشديد وهناك حب متبادل بين الشعبين، وأضاف أن مصر كانت معبراً للروس المسيحين القادمين الى أورشليم من اجل الحج والروس المسلمين الذاهبين الى مكة المكرمة، وفى رحلتى الذهاب والعودة كان بعضهم يقضى بها شهوراً طويلة، فلدى الروس تمثل مصر أصل الحكمة ومصدر المعرفة والاديان، لذا فهى تحظى باحترامهم، لافتاً الى أن الأدب الروسى به ملامح عدة تشعر قربها من المجتمع المصرى، فتصوير السيدة فى الأدب الروسى نجده لا يختلف كثيراً عن شكل السيدة فى الريف المصرى.

وعن الدكتور "أبوبكر يوسف" أشار "الجبالى" الى أن الترجمة قبله كانت فى مستوى سطحى، بلغة بسيطة حتى أن المترجم كان يمنح نفسه الحق فى تغيير نهايات الروايات اذا لم تلائم رغبته، الا أن الترجمة الجادة للأدب الروسى بدأت مع الدكتور "أبو بكر يوسف" الذى تعامل مع النص الترجمى باحترافية وامانة شديدة، فقد كان يتعامل مع هذه المهمة على أنها رسالة سامية وليست مهنة، وكان مؤمناً بأنه يلعب دوراً فى التواصل ونقل هذا الأرث الروسى للمجتمع المصرى حباً منه فى الثقافة الروسية، وأضاف "الجبالى" أنهم تعلموا من الأدب الروسى ليس فقط الموضوعات الجميلة والشيقة ولكنهم ايضاً تعلموا حرفية الكتابة وتصوير الاشياء والنقد الأدبى.

وعن الدكتور "حسين الشافعى" أشار "الجبالى" الى أنه كان سعيد الحظ بالعمل معه فى نشر كتابين الاول ترجمة من الروسية الى العربية لكتاب "من لينين الى بوتين .. روسيا فى الشرق الأوسط والادنى" لأليكسى باسيليف وهو موسوعة فى العلاقات العربية – الروسية ويتكون من ٨٠٠ صفحة ، والثانى رواية "النبطى" ليوسف زيدان، من العربية الى الروسية وتمنى مواصلة التعاون من اجل دعم العلاقات بين البلدين والعمل على تطويرها لمصلحة الشعبين الشقيقين.

وقال د. "مسعد عويس" أن بداية علاقته بروسيا كانت بعد تخرجه من معهد التربية الرياضية بتفوق ليحصل بعدها على منحة دراسية الى موسكو وشجعه والده على قبولها كون روسيا دولة ذات حضارة عظيمة، وعلاقاتها بمصر جيدة منذ ايام محمد على الذى بعث بعياد طنطاوى الى روسيا وكرمه كل من القيصر وزوجته وأصرا على أن يمكث هناك حتى وفاته ولازال ضريحه موجود فى موسكو حتى الان، وهذا يدل على تميز العلاقات بين الشعب المصرى والشعب الروسى، ودعا "عويس" الى تفعيل المزيد فى حركة الترجمة من الروسية الى العربية والعكس من اجل نشر الثقافة الروسية بين جموع الشعب المصرى.

فى حين عبر "مراد جاتين" عن سعادته بحضور الندوة التى تضمنت كلمات ايجابية ومشاعر طيبة عن روسيا، وتمنى أن تظل جسور الدبلوماسية الشعبية قوية على المستوى الثقافى والتعليمى الى جانب العلاقات الانسانية، لافتاً الى أن الراحلين "أبو بكر يوسف" و"حسين الشافعى" كانوا سفراء لروسيا فى مصر، كون مجهوداتهم فى تقوية العلاقات بين البلدين لا حدود لها، واختتم بالتأكيد على استعداده التعاون مع الجميع وبذل المزيد من الجهود من أجل تقوية العلاقات بين البلدين والصعود بها الى أعلى المستويات.